الفصل الرابع

أسطورة الملايين الستة (الهولوكوست)

من الأساطير السياسية التي تروِّج لها الصهيونية أسطورة «الستة ملايين» يهودي الذين يُفترض أن النازيين قاموا بإبادتهم، ولقد تحوَّل هذا الرقم – بسبب الدعاية الصهيونية الجبارة - إلى رقم سحري، وإلى عقيدة لا تقبل الشك . وإذا ناقش أحد مصداقية هذا الرقم ، فإنه يُتهم فوراً بانتهاك الحرمات وإنكار الهولوكوست ! رغم أن اليهود الصهاينة كانوا حلفاء النازيين ، ويتحملون جانبًا كبيرًا من مسئولية هذه الجريمة كما بينا في الفصل السابق .

إن إنكار الإبادة مصطلح يتواتر الآن في الصحف الغربية وفي بعض الأدبيات الخاصة بالإبادة النازية لليهود، وهو يشير إلى أي كتاب أو مؤلف تجـرَّأ صاحبه وكتب دراسة (علميَّة أو غير علميَّة) تطعن فيما ذهبت إليه الدعاية الصهيونية من أن عدد ضحايا النازية من اليهود يبلغ ستة ملايين، أو تثير الشكوك بخصوص أفران الغاز .

قصة الهولوكوست حسب رؤية الكيان الصهيوني

دونك نص ما ذكره موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية عن الهولوكوست : " لقد كانت المحرقة (كارثة يهود أوروبا في الحرب العالمية الثانية) محاولة متعمدة ومنتظمة لإبادة الشعب اليهودي كله. وتدنس محاولات عصرية لإنكار حقيقة وقوع هذه الكارثة أو حتى للتقليل منها، بالرغم من حجمها الهائل، ذكرى ملايين الضحايا.

في عام ١٩٣٣، تولى أدولف هتلر السلطة في ألمانيا وأسس نظام حكم عنـصريًّا كان اليهود يُعتبرون فيه أشخاصًا من أدنى درجة ليسوا جزءًا من الجنس البشري .

وبعد أن بادرت ألمانيا إلى نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، بدأ هتلر يطبق خطة " الحل النهائي" لإبادة الشعب اليهودي . وقد جمعت قواته اليهود في

جيتوهات وأنشأت مخيمات العمل، والتجميع، والإبادة حيث أرسل اليهود إليها . وتمت إبادة الملايين من اليهود، بينما مات معظم اليهود الذين نجوا من الإبادة من التجويع المتعمد والأمراض . وكان هتلر ينوي مسح وجود أي يهودي عن خريطة العالم .

وأباد النازيون، خلال السنوات الست من الحرب ٦،٠٠٠،٠٠٠ يهودي، ومن ضمنهم ١,٥٠٠,٠٠٠ طفل . مما أسفر عن إبادة ثلث من أبناء الشعب اليهودي في العالم . إن هذه العملية لإبادة شعب لم يكن لها مثيل من ناحية حجمها، وإدارتها وتنفيذها . وكانت تقصد إبادة أبناء شعب بكامله، أينما تواجدوا، وذلك فقط لأنهم ولدوا يهود. ولهذه الأسباب سميت هذه الأحداث بالكارثة.

والآن، بعد ستين عامًا تقريبًا ، ينكر لا ساميون كثيرون حقيقة حدوث هذه المحرقة ، أو يحاولون تقزيم هذه الكارثة مدعين بأن حجمها كان أقل بقليل . ويريد بعض العنصريين تبرئة النازيين من هذه الجريمة الفظيعة. ويعتقد الآخرون بأن إقامة دولة إسرائيل كان بمثابة تعويض لليهود على المحرقة. وعند إنكارهم لحدوث المحرقة، يريد المنكرون حرمان إسرائيل من حق وجودها. لهذا السبب يجد منكرو المحرقة الكثير من التأييد في الدول العربية. وقد أيد بعض الزعماء العرب أثناء الحرب العالمية الثانية الخطط النازية لإبادة اليهود، وقد سُمعت بعض الأصوات العربية التي شكت من أن هتلر "لم يكمل عمله".

وفي السنوات الأخيرة ظهر بُعد جديد لهذه الظاهرة. فإن أشخاصًا أشرارًا معادين لإسرائيل من يمين ويسار الخريطة السياسية، كثيرًا ما يقارنون الإسرائيليين بالنازيين والفلسطينيين باليهود . وذلك ليس افتراء دم ممقوتًا فحسب يهدف إلى سحب الشرعية من وجود إسرائيل، بل إنه محاولة للتقليل من المحرقة. وبمقارنة هاتين الحالتين، اللتين لا قاسم مشترك لهما على الإطلاق، يتم شجب إسرائيل وفي نفس الوقت التقليل من معاناة ضحايا المحرقة .

ويعتبر إنكار المحرقة ، على جميع أشكاله ، أمرًا مستنكرًا لن يمكن التسامح معه. ولن يمكننا ضمان عدم حدوث كارثة أخرى مثلها في المستقبل، لليهود أو لأي شعب آخر على الأرض، إلا إذا تذكرنا ووثقنا وخلدنا المحرقة . [1]

وإليكم رد فعل اليهود إزاء الهولوكوست كما ذكره علماؤهم " لقد ردَّ اليهود آنذاك وفي الوقت الحالي بطرق مختلفة . فقد تخلى بعضهم عن أي التزام ديني مؤكدين أن تدمير يهود أوروبا يثبت أن الله قد تخلى عن الشعب اليهودي . وفي المقابل فإن الآخرين أكثر تديناً والتزامًا نتيجة فظائع الهولوكوست. وبالعبارات العَلمانية، فإن تذكر الفظاعة عمل على تعزيز معنى الشعب بين اليهود، ويؤكد دعمهم العام تقريبا لدولة إسرائيل آمنة .

ولقد اختلفت ردود الفعل اليهودية أيضًا على الهولوكوست فيما يتعلق بعلاقاتهم مع العالم غير اليهودي . صمم بعضهم على المثابرة في العمل لمنع إلى الأبد توجيه الكراهية والعنف مرة أخرى إلى أي جماعة إنسانية . ويرون أنه بما أن اليهود كانوا ضحايا لأفظع جريمة لا سابق لها في التاريخ فإن عليهم المسؤولية الرهيبة للمساعدة على ضمان أن لا يقع مثل ذلك الفعل أبدا مرة أخرى .

وكانت ردة فعل أخرى على الهولوكوست هي الانكماش والابتعاد عن العالم، والتركيز فقط على البقاء اليهودي. يحتج رواد هذه النظرة بأن اليهود ليسوا مدينين للعالم بأي شيء كضحايا أبرياء لأفظع جريمة في التاريخ البشري، وكضحايا لما يتعذر وصفه من المآسي المروعة والبشعة التي أنزلتها بهم بعض أمم العالم في حين وقف آخرون غير مبالين .

وفي ردة فعل ثالثة لا ترى أي صراع بين الإنعاش القومي اليهودي بعد الكارثة وبين الواجب الإنساني العام، يرى كثير من اليهود زعماء عرب فلسطين في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي مذنبين بالتواطؤ في الهولوكوست . لقد

([1]) نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية .

تعاون ، مثلا، المفتي الحاج أمين الحسيني زعيم القومية العربية في فلسطين مدة طويلة، مع ألمانيا النازية كأحد دعاتها الرئيسين للعرب. فقد جند ونظم المتطوعين المسلمين للقضية النازية بدعم ومساعدة البرنامج النازي لإبادة الشعب اليهودي. فلهذا، فإن الفلسطينيين والمسلمين لا يستطيعون الادعاء أن لا دخل لهم بالهولوكوست بحسب هذا الموقف .

لقد أسدلت الهولوكوست نوعاً من الظلام على العلاقات بين اليهود والعرب، لأن اليهود يميلون إلى رؤية العرب كمجموعة أخرى مثل غيرها التي وقفت تتفرج، وسمحت بتدمير اليهودية الأوروبية . وبالعكس فإن العرب يميلون إلى اعتبار أنفسهم أبرياء من الهولوكوست ويعتقدون أنها ظاهرة أوروبية محضة، واليوم يميل بعض العرب إلى القول بأن الهولوكوست لم تحدث أصلاً وأنها مجرد دعاية يهودية لتبرير احتلال فلسطين . يشكك اليهود أحيانًا في موقف الإسلام نظرًا لموقف الحسيني مفتي الإسلام بجانب زعماء الإسلام الآخرين الذين وافقوا أو تعاونوا أحيانًا مع ألمانيا النازية وخططها في الشرق الأوسط. ومن جهة أخرى ، فإن المسلمين ينظرون إلى الهولوكوست كظاهرة أوروبية ومسيحية، وليس لهم أي ارتباط بها على الإطلاق. ومن وجهة نظرهم ، فإن الفلسطينيين الذين يعيشون في إسرائيل وفلسطين، وفوقهم أولئك الذين استبعدوا من المنطقة، قد أرغموا على تحمل عقاب الجرائم التي اقترفها الأوروبيون والمسيحيون ضد اليهود. إن ألم الوقوع كضحية، وألم الاتهام واللؤم عميق، ومن الصعوبة بمكان نسيانه. إن بالإمكان تجاوز هذا الموقف جزئيا عن طريق حوار صادق ومناقشة صريحة، لكن الناس يستطيعون ومن الواجب عليهم، أن يتعلموا أن يعيشوا مع بعضهم حتى إذا تعذر وجود تفاهم كامل بينهم .

لقد تم تفسير بشاعة الهولوكوست من قبل بعض مناهضي الصهيونية من اليهود الأرثوذكس كعقاب شديد على محاولة ليِّ الذراع مع الله (استباق الأحداث) .

لكـن بالنـسبة لمعظـم الآخـرين، سـواء مـن الأرثـوذكس أو المحـافظين ، أو الإصلاحيين أو العلمانيين فإن الهولوكوست أثبتت إيمانهم أن دولة يهودية فقط هي التي تستطيع أن تحمي يهود العالم من أي كارثة مستقبلية " [1]

ونحن ووفقاً لاقتراح المفكرين اليهود سنحاول مناقشة موضوع الهولوكوست عن طريق الحوار الهادئ والمناقشة الصريحة . ونبدأ المناقشة بتحرير المصطلحات الخاصة بالموضوع والتي ورد ذكرها في الادعاءات الصهيونية وهي ثلاثة مصطلحات : " الهولوكوست " و " الإبادة الجماعية " و " الحل النهائي " .

تحرير مصطلح " الهولوكوست "

يُشار إلى ما فعله هتلر باليهود عن طريق تصفيتهم جسديًّا (من خلال أفران الغاز) في معظم الأحيان بكلمة " هولوكوست " وهي كلمة يونانية تعني " حرق القربان بالكامل " (وتُترجم إلى العبرية بكلمة " شواه " ، وتُترجم إلى العربية أحياناً بكلمة "المحرقة") .

وكانت كلمة " هولوكوست " في الأصل مصطلحاً دينيًّا يهوديًّا يشير إلى القربان الذي يُضحَّى به للرب ، فلا يُشوى فقط بل يُحرق حرقاً كاملاً غير منقوص على المذبح ، ولا يُترك أي جزء منه لمن قدَّم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعيشون على القرابين المقدمة للرب . ولذلك كان الهولوكوست يُعدُّ من أكثر الطقوس قداسة، وكان يُقدَّم تكفيراً عن جريمة الكبرياء . ومن ناحية أخرى ، كان الهولوكوست هو القربان الوحيد الذي يمكن للأغيار أن يُقدِّموه . .

ومن العسير معرفة سر اختيار هذا المصطلح، ولكن يمكننا أن نقول إن المقصود عموماً هو تشبيه " الشعب اليهودي " بالقربان المحروق أو المشوي وأنه حُرق لأنه أكثر الشعوب قداسة !!

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٦٩- ٧١ بتصرف .

ويتم في الوقت الحاضر الاتجار بالهولوكوست وتوظيفها بشكل ممجوج لخدمة الأهداف الصهيونية والتجارية . وقد ظهرت مجموعة من المصطلحات المشتقة من كلمة « هولوكوست » والتي تُعبِّر عن الاستياء العميق من عملية التوظيف هذه . بمعنى توظيف الهولوكوست تجارياً لتحقيق الأرباح العالية . ومن العبارات الأخرى المتواترة عبارة " هولوكوست مانيا " أي " الإنشغال الجنوني أو المرضي بالإبادة [1]

تحرير مصطلح " الإبادة الجماعية "

يُطلق مصطلح «إبادة اليهود» في الخطاب السياسي الغربي على محاولة النازيين التخلص من أعضاء الجماعات اليهودية في ألمانيا وفي البلاد الأوربية (التي وقعت في دائرة نفوذ الألمان) ولعبارة " الإبادة الجماعية " معنى محدد من واقع أصل الكلمة نفسها وهو إبادة جنس ما ، وذلك بافتراض جود جنس يهودي كما تدعي العنصرية الهتلرية ، وكما يؤكد اليهود الصهاينة .

ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب العالمية الثانية " إبادة جماعية لليهود " ؟

إن لعبارة الإبادة الجماعية معنى محددًا في جميع القواميس فقاموس "لاروس" على سبيل المثال يعطي هذا التعريف : " الإبادة الجماعية هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها " . [2]

ولا ينطبق هذا التعريف حرفيًّا إلا على غزو يشوع لأرض كنعان حيث جاء في سفر العدد أنه بالنسبة لكل مدينة دخلها شعب إسرائيل " ٣١فأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ الأَمُورِيِّينَ. ٣٢وَأَرْسَلَ مُوسَى لِيَتَجَسَّسَ يَعْزِيرَ، فَأَخَذُوا قُرَاهَا وَطَرَدُوا الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ هُنَاكَ. ٣٣ثُمَّ تَحَوَّلُوا وَصَعِدُوا فِي طَرِيقِ بَاشَانَ. فَخَرَجَ عُوجُ مَلِكُ بَاشَانَ لِلِقَائِهِمْ

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ / ج ٤ " الإبادة النازية والحضارة الغربية الحديثة " .مرجع سابق .

(2) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٣٩

هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ إِلَى الْحَرْبِ فِي إِدْرَعِي. ٣٤فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لاَ تَخَفْ مِنْهُ لأَنِّي قَدْ دَفَعْتُهُ إِلَى يَدِكَ مَعَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَرْضِهِ، فَتَفْعَلُ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِسِيحُونَ مَلِكِ الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِ فِي حَشْبُونَ». ٣٥فَضَرَبُوهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ، وَمَلَكُوا أَرْضَهُ. (العدد ٢١)

وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة أثناء محاكمات نورمبرج بطريقة خاطئة تمامًا لأن الأمر لا يتعلق بإفناء شعب بأكمله والقضاء عليه كما هو الحال بالنسبة للإبادة المقدسة للعمالقة والكنعانيين وغيرهم من الشعوب الأخرى التي تحدث عنها سفر يشوع " ٢٨وَأَخَذَ يَشُوعُ مَقِّيدَةَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِ مَقِّيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا.

٢٩ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ مِنْ مَقِّيدَةَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى لِبْنَةَ، وَحَارَبَ لِبْنَةَ. ٣٠فَدَفَعَهَا الرَّبُّ هِيَ أَيْضًا بِيَدِ إِسْرَائِيلَ مَعَ مَلِكِهَا، فَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ بِهَا شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِهَا كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا. ٣١ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لِبْنَةَ إِلَى لَخِيشَ وَنَزَلَ عَلَيْهَا وَحَارَبَهَا. ٣٢فَدَفَعَ الرَّبُّ لَخِيشَ بِيَدِ إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ. ٣٣حِينَئِذٍ صَعِدَ هُورَامُ مَلِكُ جَازَرَ لإِعَانَةِ لَخِيشَ، وَضَرَبَهُ يَشُوعُ مَعَ شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يُبْقِ لَهُ شَارِدًا.

٣٤ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لَخِيشَ إِلَى عَجْلُونَ فَنَزَلُوا عَلَيْهَا وَحَارَبُوهَا، ٣٥وَأَخَذُوهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ كُلَّ نَفْسٍ بِهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلَخِيشَ. ٣٦ثُمَّ صَعِدَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ عَجْلُونَ إِلَى حَبْرُونَ وَحَارَبُوهَا، ٣٧وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا وَكُلِّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِعَجْلُونَ، فَحَرَّمَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. " (يشوع ١٠)

" ١٠ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلاً رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. ١١وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.

حَرَّمُوهُمْ، وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ. [١٢]فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدُنِ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ. [١٣]غَيْرَ أَنَّ الْمُدُنَ الْقَائِمَةَ عَلَى تِلاَلِهَا لَمْ يُحْرِقْهَا إِسْرَائِيلُ، مَا عَدَا حَاصُورَ وَحْدَهَا أَحْرَقَهَا يَشُوعُ. [١٤]وَكُلَّ غَنِيمَةِ تِلْكَ الْمُدُنِ وَالْبَهَائِمَ نَهَبَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا الرِّجَالُ فَضَرَبُوهُمْ جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى أَبَادُوهُمْ. لَمْ يُبْقُوا نَسَمَةً. " (يشوع : ١١)

هل أباد يشوع كل الكنعانيين ؟

وبالقطع فإنه لم يحدث إبادة شاملة لكل الكنعانيين كما تحاول توراة اليهود أن توهمنا ، فيشوع لم يَغْزُ كل أرض كنعان ، ولكنه غزا بعضها فقط ، وعلى فرض أن يشوع أباد كل الكنعانيين في البلاد التي غزاها ، فإن ذلك لم يحدث إلا في مدينتين أو ثلاثة على الأكثر من مدن الكنعانيين ، والتاريخ يقول أن وسائل القتال على عهد يشوع لا تُمَكِّنه من إبادة سكان كل مدينة يدخلها .

لكن السؤال هنا لماذا توراة اليهود تؤكد على إبادة يشوع للكنعانيين رغم ما في هذا من مجافاة للأخلاق الإنسانية الكريمة ، وللتاريخ الإنساني الصحيح ؟

تهدف الصهيونية من وراء ذلك إلى :

١- التأكيد على فناء الكنعانيين أصحاب فلسطين الأصليين عن آخرهم وبالتالي لا يكون هناك حق لأي عربي في فلسطين .

ويؤكد علماء اليهود ذلك فيقولون : " مارس الرومان نوعًا من "التطهير العرقي" من أجل إبعاد اليهود عن القدس عاصمتهم المركزية، وكانوا مصممين على منع وقوع مزيد من الثورات اليهودية إلى درجة أنهم تخلوا عن تسمية المنطقة يهودا، وذلك من أجل فصلها عن اليهود تماما. غيّر الرومان اسم يهودا إلى اسم "فلسطين" المأخوذ من اسم الشعب القديم البائد المعروف بالفلسطينيين. " [1]

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٥١

٢- اتخاذ الصهيونية من إبادة يشوع للكنعانيين ذريعة دينية لممارسة كافة أشكال المذابح العنصرية ضد العرب . معتبرة أن المجازر التي ترتكبها في حق العرب جهاد مقدس مارسه سلفهم الصالح !!

تحرير مصطلح " الحل النهائي "

تُستخدَم عبارة «الحل النهائي» للإشارة إلى «المخطط الذي وضعه النازيون لحل المسألة اليهودية بشكل جذري ونهائي ومنهجي وشامل عن طريق إبادتهم ، أي تصفيتهم جسديًا . وتزعم الأدبيات الصهيونية ترادف عبارة «الحل النهائي» مع عبارة «الإبادة كتصفية جسدية» ، وهو ترادف ينكره رجاء جارودي، وغيره من الدارسين، للأسباب التالية :

١ ـ كان النازيون يتحركون في إطار الحل الإمبريالي للمسألة اليهودية وهو تصديرها للخارج. وقد بيَّن هتلر أنه يميِّز بين معاداة اليهود العاطفية ومعاداة اليهود المنهجية، فالأولى تنتهي بالمجازر، أما الثانية فتنتهي بتهجير (ترانسفير) اليهود . وقد حدد هتلر مشروعه بالنسبة لليهود باعتباره عملية تهجير. وفي رده على سؤال وُجه إليه في اجتماع عام بشأن حقوق اليهود الإنسانية، قال : " ليبحث اليهودي عن حقوقه الإنسانية في دولته فلسطين " .

فالحل النهائي إذن يكمن في تفريغ أوربا من اليهود والإمعان في إقصائهم بعيدا حتى تسمح الحرب بوضعهم داخل جيتو خارج أوروبا (كمشروع مدغشقر) (1)

٢ـ طبق النازيون هذه الرؤية الإمبريالية (الصهيونية) على اليهود، ولذا بدأ الحل النهائي بتهجير اليهود من أصل بولندي إلى بولندا، ولكن الحدود أوصدت دونهم. ثم طرح النازيون مشاريع صهيونية عديدة تهدف إلى توطين اليهود وتأسيس وطن قومي لهم في أي مكان خارج أوربا (إكوادور ـ سوريا ـ مدغشقر) .

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١١٢

وقد تعاون النازيون مع الصهاينة انطلاقاً من قبول هذا الحل الصهيوني النازي للمسألة اليهودية فتم توقيع معاهدة الهعفراة للمساعدة في تهجير اليهود إلى فلسطين . وحقق النازيون بعض النجاح في هذا المضمار إذ بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من ألمانيا وحدها حوالي ١٥٠ ألف (بين ١٩٣٣ ـ ١٩٣٨) وهي نسبة مئوية عالية. وظل النازيون يدافعون عن فكرة تهجير اليهود، وكانوا لا يكفون عن الشكوى من أن سيل الهجرة لم يكن سريعاً بما فيه الكفاية، ومن أن الدول الغربية توصد أبوابها في وجه المهاجرين اليهود .

وفي السنين الأخيرة للحرب، بعد مؤتمر فانسي (يناير١٩٤٢) وبعد وقوع مساحات شاسعة من الأرض السوفيتية البولندية في أيدي النازيين، بدأت فكرة توطين اليهود فيها تراود النازيين («ترحيل اليهود إلى الشرق «في المصطلح النازي). وقد جاء في مذكرة رسمية بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٤٢ صادرة من وزارة الخارجية الألمانية ما يلي: « إن الحرب ضد الاتحاد السوفيتي وفرت لنا أراضيَ جديدة لتنفيذ الحل النهائي. وقد قرر الفوهرر (لقب هتلر) أنه بدلاً من إرسال اليهود إلى مدغشقر فسيقوم بإرسالهم إلى الشرق. ولذا ليس هناك ما يدعو إلى التفكير في مدغشقر باعتبارها الحل النهائي " .

وكل هذا يعني في واقع الأمر أن الحل النهائي هو حل صهيوني إقليمي، يعني التخلص من اليهود عن طريق ترحيلهم من مكان لآخر، تماماً كما فعلت الحضارة الغربية مع اليهود حيث نقلتهم إلى فلسطين، وكما فعل الصهاينة مع الفلسطينيين بنقلهم منها .

٣ـ كان النازيون في حاجة ماسة للأيدي العاملة، فلماذا تُضيِّع آلة الحرب النازية وقتها في إبادة الملايين بدلاً من توظيفهم في أعمال السخرة ؟ ومن الواضح أن النازيين كانوا أكثر رشداً ونفعية مما يتصوره الدارسون الصهاينة. فكانوا يزيدون من عدد العمال الذين يعملون نظير دولار واحد في اليوم للاستفادة من العمالة الرخيصة.

وقد أرسل هتلر مذكرة إلى أحد رؤساء معسكرات الإبادة (بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٤٢) يخبره فيها أن يستعد لاستقبال ٢٠٠ ألف يهودي حيث ستسند للمعسكر مهام اقتصادية مهمة. وفي مايو ١٩٤٤ أصدر هتلر أمراً باستخدام ٢٠٠ ألف يهودي كعمال في أحد المشاريع الإنسانية. وقد أصدرت قيادة الإس. إس .S. S أمراً بمنح مكافأة لكل السجناء (ومنهم اليهود) الذين أبلوا بلاءً حسناً في العمل. كما وفرت المؤسسات النازية لهؤلاء العاملين كل الأنشطة الترفيهية، وضمنها بيت دعارة، لزيادة الإنتاجية !!

٤- حينما يَرد لفظ «الإبادة» في نصوص نازية فإنه لم يكن يعني دائماً «التصفية الجسدية»، ففي ٢٦ مارس ١٩٤١ في حفل افتتاح معهد فرانكفورت لدراسة المسألة اليهودية أشار أحد المتحدثين إلى الإبادة باعتبارها الحل الشامل للمسألة اليهودية وعُرِّف هذا الحل بأنه " أن يترك اليهود أوربا " . وقد أفاض المتحدث وقال إنه يمكن أن يترك اليهود أوربا عن طريق وضعهم في معسكرات عمل في بولندا (حيث يتم إفقارهم) أو في مستعمرة. ولعل تجربتي : جيتو وارسو ، وتيرس آينشتات (وغيرهما من التجارب) قد تمتا في هذا الإطار .

٥- لوحظ أثناء محاكمات نورمبرج أن المدَّعين الذين مثَّلوا الحلفاء كانوا يحاولون قصارى جهدهم أن يلووا عنق بعض الكلمات الألمانية ليترجموها بكلمة «إبادة». فكلمة "أوسروتونج " Ausrottung على سبيل المثال، والتي تعني «استئصال شأفة» شيء ما بأية طريقة فعلية أو مجازية تُرجمت إلى «إبادة» بمعنى «تصفية جسدية متعمدة»، مع أن النازيين استخدموا في إحدى وثائقهم عبارة «استئصال شأفة المسيحية»، ولم يُفسِّر أحد هذه العبارة باعتبارها مخططاً نازياً لإبادة المسيحيين .

٦ ـ ما تهمله كثير من الدراسات الغربية هو ما يمكن تسميته «الاختفاء»، أي اختفاء أعداد كبيرة من اليهود من خلال عوامل طبيعية مثل الزواج المختلط والموت بسبب الغازات والأوبئة أثناء الحرب .

لكل هذا فعبارة «الحل النهائي» تعني ما تقول دون زيادة أو نقصان، ومن ثم فهي لا تعني بالضرورة «تصفية جسدية متعمدة»، وقد تعني «تصفية من خلال التهجير وأعمال السخرة " (١)

وبعد تحرير المصطلحات الثلاثة (الهولوكوست ، والإبادة الجماعية ، والحل النهائي المرادف للتصفية الجسدية المتعمدة) يتبين لنا أنها جميعًا لا تصلح وصفاً لما فعله هتلر مع اليهود ، إنما هي من قبيل الدعاية التي يستخدمها الإعلام الصهيونية للتهويل والإثارة .

نأتي إلى زعم آخر ادعته الأدبيات الصهيونية وهو " أن اليهود كانوا ضحايا لأفظع جريمة لا سابق لها في التاريخ " أي أن ما فعله هتلر باليهود لم تتعرض له جماعة قط طوال التاريخ .

وهذا ادعاء تكذبه توراة اليهود التي نصت على إبادة يوشع لمدن كاملة – كما سبق ذكره – ولن نذهب بعيدا فقط سنكتفي بذكر أشهر الجرائم التي وقعت في العصر الحديث لنبين إلى أي مدى تزيف الدعاية الصهيونية الحقائق .

ضحايا الحرب العالمية الثانية

في البداية لا بد من الاعتراف بأن جريمة النازيين في حق اليهود وغيرهم ثابتة لا ينكرها إلا معاند ، ولكن السؤال ، ماذا عن الحساب الختامي لمجازر هتلر في حق اليهود ؟

لقد خلفَّت الحرب العالمية الثانية ٦٠ مليوناً من الموتى منهم ١٧ مليوناً من السوفييت ، و٩ ملايين من الألمان . وكذلك ملايين الجنود من أفريقيا وآسيا دفعوا ثمناً باهظاً بموت عدد كبير منهم .

(١) لمزيد من التفصيل حول إبادة اليهود الرجوع إلى . رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية الفصل الخاص بأسطورة عدالة نورمبرج . د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج٤: " بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوربا " .

وعلى ذلك فإن الهيمنة الهتلرية لم تكن كما شاءت بعض ألوان الدعاية حكرًا على اليهود وحدهم ، أو أنهم كانوا الضحايا الرئيسيين ، فقد كانت الحرب العالمية الثانية كارثة بشرية لا مثيل لها للأسف الشديد . لأن هتلر طَبَّق على البيض (سكان أوروبا) ما طبقه الاستعماريون الأوربيون منذ خمسة قرون على المُلوَنِين .

نَسَى اليهود - أو تناسوا - أن حرب هتلر قد كلفت العالم ستين مليونًا من الموتى، وحفظوا الرقم على أنه ستة ملايين من اليهود ، ثم أعلنوا أن هذه " أعظم أحْدَاث الإبادة فِي التاريخ " ! إن هذا يُثِير قضِية العالم كله : قضية الأمريكان الذين ارتكبوا مذابح أكبر من هذه وأبشع، لأكثر من عشرين مليونًا من الهنود، وقضية الروس الذين كلَّفتهم حملات التطهير الستالينية أكثر من عشرة ملايين من القتلى، وقضية الاستعماريين الأوربيين: " فرنسيين وإنجليز وغيرهمْ "، وقد أسْفرت عملِيات "نخاسة السود" على أيديهم عن عدد يتراوح "بين ١٠ ملايين و٢٠ مليونًا من العبيد"، نُفوا إلى أمريكا، وكانت الضحايا بنسبة ١٠ قتلى إلى أسِير واحِد، أي: إنه قُتِلَ فِي هذِهِ العملِيات ما بين مائة ومائتي مليون من السود .

إن "أكبر مذبحة فِي التاريخ" سَمَحَتْ بأن يُلقَى بسوابقها في طوايا النِّسيان، فأما الصهاينة فقد كان هذا عندهم حُجَّة إِضَافِيَّة تُضفي الشرعية، لا على وجود دولة إسرائيل فحسب، ولكن كذلك على أية جريمة اغتصاب ترتكبها في المستقبل مهما تكن . " (١)

هدف الغرب من التركيز على الهولوكوست

إن تركيز الغرب على أسطورة الهولوكوست وحدها دون سائر الجرائم التي ارتكبت في حق شعوب أخرى كانت تمويها على حقيقة جرائمهم : فالحديث عن "أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ " كانت بالنسبة للاستعماريين الغربيين إنزالاً

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثالث ، الفصل الثاني : كيف ولدت دولة إسرائيل .مرجع سابق .

للستار على جرائمهم قتل الهنود في أمريكا ، والرقيق السود وبالنسبة لستالين محوًا لآثار عمليات القمع الوحشية التي قام بها .

وكانت الغايات من ذلك غايات سياسية وليست غايات حربية فقد كتب تشرشل ابتداء ١٩٤٨ في كتابه : الحرب العالمية الثانية (المجلد الرابع) : من الخطأ الافتراضي بأن مصير اليابان قد تقرر بواسطة القنبلة الذرية . (1)

وعبارة " هولوكوست " المطبقة على نفس المأساة منذ السبعينيات انطلاقاً من كتاب إيلي فينزل " الليل " (١٩٥٨) والتي انتشرت بعد عرض فيلم " الهولوكوست " تشي بالرغبة في استغلال الجريمة التي ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثا استثنائيًّا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخرين للنازيين ، ولا بأي جريمة أخرى من جرائم التاريخ ، لأن معاناتهم وأمواتهم قد اتخذت طابعا مقدسا ، ومن ثم فإن قاموس " لاروس " يعرف الهولوكوست كالآتي : " قربان لدى اليهود ، تحرق فيه الضحية بالنار تمامًا " .

وبذلك أصبح استشهاد اليهود لا يعادله استشهاد آخر نظرا لطابعه القرباني الذي أدمجهم ضمن المشروع الإلهي على طريقة صلب المسيح في اللاهوت المسيحي ، مفتتحا بذلك عصرا جديدا الأمر الذي أتاح لأحد الحاخامات أن يقول : " إن إنشاء إسرائيل هو رد فعل الرب على الهولوكوست " .

ولتبرير الطابع المقدس للهولوكوست كان لابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق .

ولم يتسن تقديم أي نص يثبت أن " الحل النهائي " للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة . (2)

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤١، ١٤٢
(2) نفسه ص ١٤٤

نأتي بعد ذلك إلى الأسطورة العظيمة وهي إبادة هتلر لستة ملايين يهودي ، فإذا كان هرتزل عندما صاغ الشعارات: "نحن شعب"، "وفلسطين وطننا التاريخي الذي لا يُنْسَى" لم يفعل سوى أن تناول ما أطلق عليه هو نفسه: "الأسطورة العظيمة" (١) فإن الدولة الصهيونية فعلت الشيء نفسه بإصرارها على رقم الستة ملايين .

هل أباد هتلر ستة ملايين يهودي حقا ؟

ليس الغرض مسك دفاتر حسابية مؤلمة ومفجعة فقتل إنسان بريء واحد سواء أكان يهوديًّا أم غير يهوديٍّ هو جريمة ضد الإنسانية ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه الناحية ، فلماذا إذن يتمسك الصهاينة منذ ما يزيد على نصف قرن مضى بالرقم الذهبي الستة ملايين الذي أحاطوه بهالة من التقديس رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة .

تضارب عدد قتلى اليهود على يد النازيين

لقد تضاربت أرقام ضحايا اليهود على يد النازيين فقد وصل بعضهم بالعدد إلى تسعة ملايين ، وقد نزل البعض بالرقم إلى مليون وربع فقط وإليك أهم هذه الأرقام واسم من قال بها .

(٩) ملايين وفقاً لفيلم المخرج الفرنسي آلان رينيه " الليل والضباب " الذي أخرجه عام ١٩٥٥، ومع إنه فيلم رائع ومؤثر .

(٨) ملايين وفقاً " لوثائق خدمة تاريخ الحرب " معسكرات الاعتقال الذي أصدره المكتب الفرنسي للنشر عام ١٩٤٥. ص ٧

(٤) ملايين طبقا للتقرير السوفيتي الذي جعلت منه محكمة نورمبرج دليل إثبات شرعيًّا وفقا للمادة ٢١ من النظام الأساسي التي تنص على ما يأتي : " تكون للوثائق

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الثاني : من اليهودية إلى القومية الصهيونية . مرجع سابق .

والتقارير الرسمية للجان التحقيق التابعة لحكومات الحلفاء قوة دليل الإثبات الشرعي " ومع أن هذه المادة نفسها تنص على أن " هذه المحكمة لن تطالب بتقديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع ، وستعتبرها أدلة مسلم بصحتها " .

(٢) مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودي ليون بولياكوف " ترانيم الحقد " ١٩٧٤ . ص ٤٩٨

(مليون وربع) مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودي راءول هيلبرج "تدمير يهود أوروبا" الصادر عام ١٩٨٥ . ص ٨٩٥

والآن وبعد أبحاث تاريخية مطولة قام بها علماء من جنسيات مختلفة أوجز مدير معهد التاريخ المعاصر في باريس السيد فرانسو بيداريدا هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه " تقييم ضحايا أوشفيتز " خلص فيه إلى أن عدد ضحايا معسكر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥٠،٠٠٠ على أقل تقدير و ١،٢ مليون على أكثر تقدير . [1]

ويمكن كذلك عمل تقييم لعدد الموتى في المعسكرات الأخرى فعلى سبيل المثال ، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك ؟

- (مليون ونصف) طبقا للوسى داودوفيتش في كتاب " الحرب ضد اليهود " الصادر في عام ١٩٨٧ .
- (٣٠٠,٠٠٠) حسب لياروش وإبرهارد ١٩٩١.
- (٥٠,٠٠٠) حسب راءول هيلبرج .

وهنا يطرح السؤال التالي ألا يخدم الدعاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة : إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود ، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر ؟ [2]

---

(1) جريدة لموند الفرنسية بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٩٠ نقلا عن رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤٨

(2) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤٩

تضارب الآراء حول طريقة قتل النازيين اليهود

وكما تضاربت أرقام القتلى من اليهود تضاربت كذلك أساليب قتل اليهود فقد ذكرت بعض المصادر أن وسيلة القتل كانت الرمي بالرصاص ، في حين ذكرت مصادر أخرى أن الوسيلة كانت الصعق بالكهرباء ، ومصادر ثالثة غرف بخار الماء، ورابعة بالغاز ... وهكذا تضاربت المصادر في تحديد سلاح الجريمة ، وبعض وسائل القتل التي ذكرت ثبت بالدليل كذبها مما يثير سحبا من الشك في الوسيلة التي دأبت الدعاية الصهيونية على تأكيدها وهي الإعدام بغاز الزيكلون .

وإليك بعض المصادر التي ذكرت وسيلة قتل اليهود على يد النازيين :

- فالنيويورك تايمز الصادرة في ٣ يونيو ١٩٤٢ تتحدث عن " مبنى للإعدام " كان يُعدم فيها بالرصاص ١٠٠٠ يهودي يوميا .
- وفي ديسمبر ١٩٤٥ أدْخَل ستيفان زيند اليهود في حوض سباحة ضخم يمر فيه تيار كهربائي ذو ضغط عالٍ لصعقهم ويضيف : " وبهذا فإن مشكلة إعدام ملايين الرجال قد حُلت " .
- وثيقة نورمبرج رقم ٣٣١١ المؤرخة في ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ تشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل " غرف بخار الغاز " .
- وبعد شهرين ونصف استبدلت نفس هذه المحكمة بغرف بخار الغاز غرف الغاز !

لكن الصيغتين الشائعتين في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الإعدام بالزيكلون ب من جهة ، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محرك الديزل .

والأمر الذي يؤسف له أن محكمة نورمبرج أو أي محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أي معاينة من أجل التحديد النهائي لسلاح الجريمة . حتى لا يثبت خطأ الدعاية الصهيونية في هذا الشأن ، وربما يكون لأول مرة في تاريخ المحاكم أن تتجاهل المحكمة البحث في وسيلة القتل ، وهي أقوى دليل إثبات أو نفي .

الشك في قتل اليهود في غرف الغاز

الفيلم الذي عُرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازي ، أوضح وجود " غرفة غاز " واحدة فقط هي غرفة معسكر داخاو ، وعد ذلك دليل إثبات لوقوع جرائم قتل في غرف الغاز .

وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة إلى هذه الغرفة الواحدة التي استندت عليها محكمة نورمبرج كدليل إثبات قتل اليهود عن طرق غرف الغاز ، وتبين أن هذه الغرفة لم تستعمل أبداً ، حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدا لم يلق فيها حتفه لأنها لم تستعمل أبدا !!

وصدر في ١٩ أغسطس ١٩٦٠ بيان عن مارتي بروزات عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو ، أو بريجن – بيلس أو بوشنفالد .. ولم يبدأ القضاء الجماعي على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤١- ١٩٤٢ وقبل كل شيء في الأراضي البولندية المحتلة ".

وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوي التي ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب العالمية الثانية والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا إنسانية خلفت آلاف الجثث في الطريق . وسوء التغذية ، والأوبئة فهل تحتاج هذه المأساة إلى تضخيم للدلالة على قتل اليهود على أيدي النازي ؟

وهل الحاجة تدعو والحالة هذه إلى الإبقاء بأي ثمن على هالة القداسة للهلولوكست، والتلويح بشبح " غرف الغاز " ؟

قصة محارق الموتى في المدن الأوربية الكبرى

تحاول الدعاية الصهيونية إثبات أن غرف حرق الموتى الموجودة في معظم المدن الأوربية الكبرى لحرق جثث الموتى المصابين بالأوبئة كالتيفوس لمنع انتشار الوباء،

استغلت الصهيونية وجود هذه المحارق في مستعمرات النازيين لإثبات استخدام النازيين لها في حرق اليهود .

ورغم وجود خلط لدى الناس من ذوي النيات الطيبة بين محارق الموتى وغرف الغاز ووجود عدد مهم من هذه المحارق في المعسكرات الهتلرية لوقف انتشار وباء التيفوس ، فإن هذه المحارق ليست بالحجة الكافية ، فهذه المحارق موجودة في المدن الكبرى كباريس (بيرلاشيز) ولندن وفي كل العواصم الهامة وحرق الموتى لا يعني بالطبع الرغبة في إبادة السكان .

ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة غرف الغاز إلى المحارق لإقامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنار . ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيات المبدئية لإثبات وجودها ولم تسمح معاينة " سلاح الجريمة " بالعثور عليها . (1)

وقد خدع الإخراج الذي أحاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كانوا يقتادون إلى هناك لتلقينهم عقيدة الهولوكوست ، ناهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين !

وكانت غرف الغاز في داخاو هي الوحيدة التي عرضت بالصور على المتهمين في نورمبرج بوصفها من أماكن الإبادة الجماعية ، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر . (2)

أشهر الدراسات العلمية حول الهولوكوست

وقد صدرت في السنوات الأخيرة عدة كتب ودراسات تدور حول هذا المحور :

١- كتب بول راسينيه في الخمسينيات دراسة ضخمة بعنوان أسطورة غرف الغاز. وكان المؤلف قد رُحِّل إلى أحد معسكرات الاعتقال. وفند في كتابه وجود مثل هذه الغرف أساساً وبيَّن أنها أكذوبة تاريخية وأورد إحصاءات ديموجرافية (رسمية)

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٥١
(2) نفسه ص ١٥١

عن عدد اليهود في كل أوربا بل الحرب وبعدها، وعقب صدور الكتاب حُوكم راسينيه وناشره وعُوقب بالسجن (مع إيقاف التنفيذ) كما فُرضت عليه غرامة مالية فادحة .

٢- من أهم الكتب التي صدرت في هذا المجال كتاب البروفسور آرثر باتس الأستاذ بجامعة نورث ويسترن أكذوبة القرن العشرين الذي يثير الشكوك حول عملية الإبادة نفسها. ولا يزال البروفسير باتس يُدرِّس في الجامعة في الولايات المتحدة .

٣- أصدر روبير فوريسون أستاذ الأدب في جامعة ليون سلسلة مقالات ثم مؤلفاً كبيراً كتب مقدمته اللغوي الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي يثبت أنه لم تكن هناك أصلاً أفران غاز .

٤- تقدَّم هنري روكيه برسالة للدكتوراه إلى جامعة نانت يُشكك فيها في وجود غُرف الإعدام بالغاز «زيكلون بي». وقد أجازت الجامعة الرسالة ومنحته الدرجة العلمية بامتياز. ولكن الحكومة الفرنسية ألغت قرار اللجنة وسحبت منه الدرجة. ويُعَدُّ هذا التدخل سابقة ليس لها مثيل في تاريخ الجامعات الفرنسية الذي يمتد ألف عام .

٥- أصدر ستاجليش أحد قضاة مدينة هامبورج، كتاباً بعنوان أسطورة أوشفيتس. والكتاب هو رسالة للدكتوراه كان القاضي قد قدمها إلى جامعة جوتينجن، وتوصَّل فيها إلى أن كثيراً من النصوص وشهادات الشهود بخصوص معسكر أوشفيتس أو عما كان يجري فيه غير صحيح بالمرة ومليئة بالتناقضات. وقد أُجيزت الدكتوراه بالفعل. وما إن صدر الكتاب حتى قررت الجامعة سحب الدكتوراه من الرجل. كما أصدرت السلطات القضائية قراراً بخصم ١٠% من راتبه .

٦- يتعرض المؤرخ البريطاني ديفيد إيرفينج للمطاردة منذ نهاية الثمانينيات لأنه ينكر الإبادة رغم أن مجلة The New York Review of Books وصفته بأنه "يعرف عن الاشتراكية الوطنية (أي النازية) أكثر من أي عالم آخر متخصص في

هذا الحقل، وأشارت إلى كتابه عن حرب هتلر بأنه أحسن دراسة عن الجانب الألماني في الحرب". ورغم كل هذا طُرد من كندا وبعد ذلك من أستراليا، ومُنع من إلقاء محاضراته فيهما. وأصدرت إحدى المحاكم الألمانية حكماً بتغريمه عشرة آلاف مارك لمجرد أنه نفى أن اليهود كانوا يموتون في غرف الغاز في معسكر أوشفيتس .

وقد وصل هذا الاتجاه إلى ذروته (أو هوته) مع صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) في مايو ١٩٩٠ المسمى " قانون جيسو " (وهو اسم النائب الشيوعي الذي تبنَّى هذا القانون). ويُحرِّم هذا القانون أي تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة عام ١٨٨١، جاء فيها: "يُعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤، كل من ينكر وجود أي من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسي للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس ١٩٤٥ " .

وقد يظن المرء لأول وهلة أن كل القضايا المرتبطة بالإبادة النازية مثل: هل هي حقيقة أم مجرد اختلاق ؟ وعدد الضحايا اليهود، وهل يبلغ عددهم ستة ملايين بالفعل أم أنه أقل من ذلك بكثير؟ هي قضايا تم حسمها تماماً في الأوساط العلمية. وقد يظن المرء كذلك أن الدراسات السابقة هي دراسات عنصرية تآمرية كتبها مهيجون يحاولون إثبات أن اليهود وراء كل الشرور والجرائم. ولكن الأمر أبعد ما يكون عن ذلك، فهي دراسات علمية، ذات مقدرة تفسيرية معقولة تتناول قضايا خلافية. وهي دراسات تطرح وجهة نظر قد تكون متطرفة أو خاطئة (والوصول إلى قدر من الحقيقة في مثل هذه الأمور الخلافية أمر جد عسير)، إلا أنها تدلل على وجهة نظرها من خلال الأرقام والحقائق والمعلومات. ومما لا شك فيه أن هناك المئات من الكتب الأخرى التي كتبها بعض المؤلفين العنصريين، ومثل هذه الكتب لا تستحق

القراءة لأنها كتابات عصبية متشنجة لا تبرهن على وجهة نظرها بطريقة علمية تفسيرية هادئة . (1)

الإعلام الصهيوني والدفاع عن الهولوكوست

يهاجم الإعلام الغربي والصهيوني بشدة الكتب التي تثير الشكوك حول موضوع الملايين الستة ، العلمي منها وغير العلمي، ويشجبها بعصبية واضحة، ويهيج ضدها بطريقة غوغائية، ويوجه الاتهام لكل من تسول له نفسه أن يُنكر الإبادة أو يشكك في أسطورة الملايين الستة حتى لو كان من العلماء المتخصصين، مع العلم بأن هناك دراسات كتبها علماء إسرائيليون يُعبِّرون فيها عن شكوكهم بخصوص رقم ستة ملايين. ولعله كان من الأجدى أن يميِّز الإعلام الغربي بين الدراسات العلمية والدراسات غير العلمية، وأن يُخضع الدراسات العلمية للنقد العلمي الهادئ، وأن يُطالب بفتح كل الملفات السرية والأرشيفات الغربية والشرقية لنتبيَّن مدى صحة هذه الأطروحات. وقد أصبح هذا متيسراً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي إذ أصبحت وثائقه متاحة للدراسة. ولعل حالة ديمانجوك الذي اتُهم بأنه « إيفان الرهيب »، الذي اشترك في إبادة اليهود وغيرهم في معسكر تربلينكا، تكون مثلاً على الخطوات المطلوب اتخاذها. فقد كانت كل الدلائل التي جمعها الأمريكيون والإسرائيليون تبيِّن أن ديمانجوك هو إيفان الرهيب، وأصدرت المحاكم الإسرائيلية حكماً ضده بالفعل. ولكن، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ظهرت وثائق تبيِّن بما لا يقبل الشك أن هناك شخصاً آخر هو الذي قام بعمليات الإبادة فأُفرج عن ديمانجوك .

ومن الصعب فهم تلك الاستجابة الهستيرية لدى الإعلام الغربي والصهيوني إزاء عمليات إثارة الشكوك حول الإبادة وعدد الستة ملايين، ومع هذا فلنحاول تناول هذه

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوربا " . مرجع سابق .

الظاهرة غير العقلانية. ونحن نذهب إلى أن الخطاب الحضاري الغربي له حدوده التي يفرضها على عملية الإدراك. فقد قام الغرب بتحديد معنى الإبادة النازية لليهود ومستواها التعميمي والتخصيصي، فقام باختزالها وفرض منطق غربي ضيق عليها من خلال التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصيصية، ومن خلال نزعها من سياقها الغربي، الحضاري والسياسي الحديث .

١ ـ **بالنسبة للمسئول عن الجريمة**: تُخضَع الإبادة النازية لعمليتين متناقضتين :

أ - يتم تضييق نطاق المسئولية إلى أقصى حد بحيث تصبح الإبادة النازية جريمة ارتكبها الألمان وحدهم ضد اليهود .

ب- يتم توسيع نطاق المسئولية إلى أقصى حد بحيث تختفي كل الحدود وتصبح الإبادة النازية ليهود أوربا جريمة كل الأغيار بشكل مطلق، أو جريمة كلٍّ من الألمان والأغيار، أو الألمان باعتبارهم أغياراً، أو الألمان بموافقة ومماألأة الأغيار

٢- **بالنسبة للضحية** : تُخضَع الإبادة كذلك لعمليتين متناقضتين :

أ- يتم تضييق نطاق الجريمة إلى أقصى حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد اليهود وحدهم ، لا ضد الملايين من اليهود وغير اليهود (من الغجر والسلاف وغيرهما) .

ب- يتم تعميم الجريمة إلى أقصى حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد اليهود، كل اليهود، لا يهود العالم الغربي وحسب .

وبعد أن تم تعريف الإبادة بهذه الطريقة، وبعد أن تم التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصيصية وضبطها بما يتفق مع مصلحة الغرب، قام الغرب بأيقنة الإبادة، أي جعلها مثل الأيقونة تشير إلى ذاتها حتى لا يمكن التساؤل بشأنها، فهي مصدر المعنى النهائي .

فالإبادة بهذا المعنى أصبحت من المسلمات، ومن ثم أصبح التساؤل بشأن الإبادة هو تساؤل بشأن إحدى المقدسات وهو ما لا يمكن لأية حضارة، مهما بلغت من سعة صدر وليبرالية وتعددية قبوله . [1]

الأسباب الحقيقية لاختفاء ملايين اليهود الستة

قد يكون عدد اليهود الذين اختفوا هو ستة ملايين، ولكن ما يثير الشك حقيقة هو ادعاء الصهيونية أن هذه الملايين الستة تم حرقها جميعًا في أفران الغاز النازية وهو مالا يمكن التسليم به .

فأعداد كبيرة من الملايين الستة قد اختفت من خلال التناقص الطبيعي ، ويمكن أن نشير إلى أن ثمة عناصر أخرى ساعدت على تصعيد هذا التناقص في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر يمكن أن نذكر منها ما يلي :

أولاً : أسباب تؤدي إلى العزوف عن الإنجاب وإلى تناقص الخصوبة ومعدلات التكاثر .

١- أدت الهجرة اليهودية الكبرى في نهاية القرن التاسع عشر إلى انتقال أعداد كبيرة من اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويقال إن هجرة اليهود قضت تقريباً على اليهود في المرحلة العمرية من عشرين إلى أربعين عاماً، وهي مرحلة الخصوبة التي تجعل بإمكان الجماعة أن تعيد إنتاج نفسها. والإنسان المهاجر أقل خصوبة من الإنسان المستقر .

٢- كان أعضاء الجماعات اليهودية في الغرب يضطلعون بدور الجماعة الوظيفية الوسيطة، أي بأعمال التجارة والمال. وكانوا، لهذا، مركزين إما في المدن أو المناطق شبه الحضرية . ومع منتصف القرن التاسع عشر ، تصاعد هذا الاتجاه و

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوربا " .مرجع سابق .

تزايد تركزهم في المدن بحيث أصبحت أغلبيتهم الساحقة تسكن في المدن عشية الحرب العالمية الثانية .

٣- كانت هناك عناصر أخرى أدت إلى عزوف اليهود عن الإنجاب، من بينها تحسن مستواهم المعيشي، والقلق الذي كان يعيشه أعضاء الجماعات اليهودية في الفترة بين الحربين وإبان الحرب العالمية الثانية، وكذلك تزايد معدلات العلمنة وبالتالي زيادة التوجه نحو اللذة وتحقيق الذات، الأمر الذي يقوض من الرغبة في إنجاب الأطفال .

ثانيا : عوامل تؤدي إلى الاختفاء :

١- ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر كان يتم تجنيد أعضاء الجماعات اليهودية، وهو أمر جديد كل الجدة، إذ كانوا يتمتعون بالإعفاء من الخدمة العسكرية قبل ذلك، كما سقط منهم ضحايا بأعداد كبيرة في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية. لكن هذا العنصر لا يؤدي إلى إنقاص عدد اليهود مباشرة عن طريق سقوطهم قتلى وحسب وإنما بشكل غير مباشر أيضاً عن طريق معدل العزوف عن الإنجاب. كما أن العناصر القادرة على القتال هي عادة من الذكور في سن الخصوبة.

٢- تَنَصُّر أعداد كبيرة من اليهود، وهو شكل من الأشكال الحادة للاندماج. وقد تزايد المعدل عشية الحرب العالمية الثانية لأسباب عملية منها الهرب من بطش النازي. كما حصل كثير من اليهود على شهادات تعميد من الكنيسة الكاثوليكية حتى يتيسر لهم دخول أمريكا اللاتينية. وآثرت أعداد كبيرة منهم عدم الإفصاح عن هويتهم اليهودية حتى بعد زوال الخطر.

٣- ينطبق الشيء نفسه على مئات الألوف من الذين هاجروا إلى روسيا السوفيتية هرباً من النازي. فكثير منهم لم يفصح عن انتمائه اليهودي، خصوصاً وأن الاتحاد السوفيتي (سابقاً) كان يترك لكل شخص أن يحدد انتماءه، فلو كان الشخص يهوديّاً

وعرف نفسه بأنه (روسي) أو (أوكراني) فإن الأمر كان متروكاً له. ومع تآكل الهوية اليهودية، لم يعد هناك دافع قوى لدى كثير من اليهود للإفصاح عن هويتهم .

ثالثا : ظروف الحرب العالمية الثانية :

١- لابد أن نضيف إلى كل ذلك ظروف الحرب العالمية الثانية التي صعدت من كل العناصر السابقة وزادتها حدة، ولابد أن نأخذ في الاعتبار انتشار الأوبئة وسوء التغذية في نفس الفترة. كما ينبغي الإشارة إلى بعض طرق الإبادة البطيئة غير أفران الغاز، مثل أعمال السخرة وعزل اليهود في الجيتو بمناطق مستقلة مزدحمة يعملون ويعيشون فيها تحت حد الكفاف، وهو ما كان يعني المزيد من الجوع والمرض. ويقال: إن نحو ثلث سكان جيتو وارسو قضوا نحبهم بهذه الطريقة، وإنه كان من المتوقع لهم جميعاً أن يبادوا تماماً خلال عدة أعوام. (وهذا العنصر هو ولا شك عملية إبادة، إذ لا يهم أن يموت الضحية بأفران الغاز أو عن طريق التجويع. ولكننا نذكر هذا العنصر أيضاً حتى تكتمل الصورة لدينا). كما هلك الآلاف بسبب حالة الحرب ابتداءً من عدم توفر الرعاية الصحية، وانتهاءً بالغارات على المدن، مروراً بأحكام الإعدام التي كان النازيون يصدرونها على اليهود وغيرهم .

٢- وإذا أخذنا في الاعتبار كل هذه العناصر يصبح من الصعب أن نعزو اختفاء ستة الملايين يهودي (أو حتى أربعة الملايين حسب بعض الإحصاءات) إلى أفران الغاز وحدها أو عمليات الإبادة كتصفية جسدية متعمدة فحسب.

نعم! قد يكون عدد اليهود الذين (اختفوا) هو ستة ملايين، ولكن هل (حرق) جميعهم في أفران الغاز النازية؟ هل الأرقام حقائق صلبة فعلاً ؟! [1]

دوافع عداء هتلر لليهود

قبل إعلان الصهاينة المفوضين عن اليهود تحالفهم مع الحلفاء ضد هتلر في الحرب العالمية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ لم يكن هتلر راغبا في قتل اليهود إنما أراد

(1) د. عبد الوهاب المسيري " الأكاذيب الصهيونية " الفصل السادس " معاداة اليهود " الهيئة المصرية العامة للكتاب .

التخلص منهم كما تخلصت بقية أوربا منهم عن طريق التهجير - لابد أن ندرك أن حركة أعضاء الجماعات اليهودية الضخمة كانت مصدر قلق الدول الغربية، لخوفها على أمنها الداخلي، ومكانتهم الاجتماعية - فمثلا استطاعت إنجلترا أن تتخلص من اليهود عن طريق وعد بلفور الشهير الذي مَكَّن لإنجلترا من تهجير اليهود إلى فلسطين ، وإذا كان بلفور قد حل المسألة اليهودية في إنجلترا بالتخلص من اليهود عن طريق إرسالهم إلى فلسطين، فإن هذا الحل لم يكن متاحاً لهتلر لعدم وجود مستعمرات لدى ألمانيا، ولقد جمع هتلر بالفعل عشرة آلاف من اليهود في عدة سفن وأرسلهم عبر الحدود إلى بولندا في ٢٨ أكتوبر ١٩٣٨، ولكن الحدود البولندية كانت موصدة دونهم واستمرت المحاولات النازية التي تستهدف تهجير اليهود حتى نهاية الحكم النازي . فبُذلت المحاولة تلو الأخرى لتوطينهم في سوريا وإكوادور وتم تشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين. وكان هناك مشروع صهيوني نازي يُسمَّى «مشروع مدغشقر» يهدف إلى تأسيس دولة يهودية في تلك الجزيرة الأفريقية. ولكن معظم هذه المشروعات فشلت.ولم تُطرح بدائل أخرى فالمجال الاستعماري الحيوي لألمانيا،بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، كان محدوداً . والدول الغربية (التي تتباكى حتى الآن على ضحايا الإبادة) لم تكن ترحب هي الأخرى بالمهاجرين اليهود أو غيرهم (بسبب حالة الكساد الاقتصادي) .

وكان هتلر يسمي خطة التهجير هذه « الحل الشامل » و« الحل النهائي » . (1)

ومع قيام الحرب العالمية الثانية وتحالف غالبية اليهود مع الحلفاء ضد هتلر بل إن بعضهم قبل اندلاع الحرب العالمية كافح الفاشية بالسلاح في إسبانيا من عام ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفوف الفرق الدولية ، وأنشأ بعضهم في جيتو وارسو "لجنة الكفاح اليهودية" وماتوا وهم يحاربون .

---

(1) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ : " إشكالية العزلة والخصوصية اليهودية " . مرجع سابق .

وعندما بدأت الحرب ضد هتلر وقفت الغالبية العظمى من المنظمات إلى جانب الحلفاء ، بل إن غالبية زعماء اليهود ومنهم حاييم وايزمان اتخذوا موقفا مساندا للحلفاء ، ففي ٥ سبتمبر ١٩٣٩ – أي بعد يومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا - كتب حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية إلى تشمبرلين رئيس وزراء صاحب الجلالة ملك فرنسا خطابا يبلغه فيه : " إننا نحن اليهود في جانب بريطانيا العظمى وسنحارب من أجل الديمقراطية " .

مشيرا إلى أن : " المفوضين عن اليهود على استعداد فوري لإبرام اتفاق للسماح باستخدام كل قواهم وعدتهم من الرجال ومهارتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم " . وقد نشر هذا الخطاب في " الجويش كرونيكل " يوم ٨ سبتمبر ١٩٣٩، وهو بمثابة إعلان حرب صريح من العالم اليهودي ضد ألمانيا وقد طرح هذا الخطاب مشكلة احتجاز كل اليهود الألمان في معسكرات الاعتقال بوصفهم " رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا " كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل ياباني عشية دخولهم الحرب مع اليابان . (1)

ماذا كان ينتظر من هتلر أن يفعل – وهو في حالة حرب - بيهود ألمانيا بعد إعلان المفوضين عن اليهود الحرب ضده متحالفين مع أعدائه ؟!

ومن المدهش حقا أن نكتشف أن قادة اليهود الصهاينة الذين ملئوا الدنيا ضجيجًا في محاولة إثبات الهولوكوست ، وعويلاً على من راح ضحيتها من اليهود الألمان هم من تعاون مع هتلر المتهم الأول بإبادة اليهود في الهولوكوست (2)

لكن ماذا عن الجرائم التي ارتكبها زعماء اليهود في حق العرب الأبرياء في فلسطين ؟ وعن موقف الغرب من هذه الجرائم ؟

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٢ ، ٧٣

(2) راجع الفصل الخامس " أسطورة عداء الصهيونية للنازية " في هذا الكتاب .

الغرب والمذابح العربية والإسلامية

إن اهتمام الغرب المحموم بالإبادة النازية لليهود (التي مضى عليها نحو سبعين عاماً) والإصرار على الاستمرار في تعويض الضحايا وتقديم الاعتذار لهم والتعبير عن الندم عما بدر من الألمان وغيرهم قد يكون أمراً محموداً في حد ذاته (فهو في نهاية الأمر تعويض لفئة من ضحايا الحضارة الغربية) إلا أن هذه الظاهرة المحمودة تثير الشك حين يلاحظ المواطن العربي والمسلم أن سلسلة كاملة من المذابح قد ارتكبت منذ الأربعينيات حتى الآن في (فلسطين - الجزائر - فيتنام - البوسنة – الشيشان – لبنان – أفغانستان - العراق ...) معظمها في العالم الإسلامي وتم التزام الصمت تجاهها ولم يتحدث أحد عن تعويض أو اعتذار أو توبة أو ندم ! هذا في الوقت الذي تستمر الآلة الإعلامية الغربية في التركيز على الهولوكوست دون غيرها كما أن الزعم الغربي بأن فلسطين في الشرق العربي قُدِّمت لليهود تعويضاً عما حدث لهم في ألمانيا في العالم الغربي ، وهو أمر صعب يصعب فهمه .

ونحن ندين كل اعتداء على أية روح إنسانية إلا بالحق مهما كان جنسها أو ديانتها لذا فإنَّا ندين بشدة ما فعله هتلر النازي في بعض اليهود ونعد ذلك من الأعمال الإجرامية التي ترفضها كل الديانات السماوية والقوانين الدولية والأخلاق الإنسانية ، ونحن إذا كنا ندين هتلر النازي فيما فعله باليهود فنحن بنفس المنطق ندين كل الاعتداءات الصهيونية والأمريكية ضد الأبرياء من الشعوب العربية والإسلامية تلك الممارسات التي تعد وصمة عار على جبين كل من قام بها أو سمح بها أو كان قادرًا على منعها وتقاعس عن ذلك ، وكان على المصابين بعقدة الذنب مما فعله هتلر باليهود كان عليهم أن تحرك ضمائرهم تلك الجرائم التي تقوم بها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل .

ونظرًا لأن تجربة النازي في حياة اليهود كانت متلازمة مع مشاعر العداء للسامية، ونظرًا لأنها كما أوضحنا ولدَّت ميْلا لدى الإنسان اليهودي الإسرائيلي

«للتوحد في المعتدي» من حيث الرغبة في القتل الجماعي ، فإن الإسرائيليين قد اتخذوا مما أسموه « الشعارات اللاسامية » في الدعاية العربية ذريعة ، على أساس « النكبة النازية » . رأوا فيها أن الخصم متمثل في العرب هو ممثل « للشر المجرد» ، وقد أسقط هذا الأمر فكرة أساسية للصهيونية تنص على أن إسرائيل هي أحد الحواجز بل الحاجز الوحيد في الواقع لمناهضة اللاسامية . (١)

العرب والمسلمون والإبادة النازية ليهود أوربا

ويحاول الغرب إقحام الجريمة النازية داخل التاريخ العربي حتى يُبرِّر غرس الدولة الصهيونية الاستيطانية في وسط الوطن العربي، تعويضاً لليهود عما لحق بهم من أذى داخل التشكيل الحضاري الغربي وداخل حدود أوربا الجغرافية. وتحاول الدعاية الصهيونية، بممالأة الغرب، أن تنجز ذلك من خلال آليتين أساسيتين :

١- محاولة الدعاية الصهيونية تصوير المقاومة العربية للغزو الصهيوني لفلسطين وكأنها دعم مباشر أو غير مباشر للإبادة النازية، لأنها حالت في بعض الأحيان دون دخول المهاجرين اليهود لفلسطين . ومثل هذه الحجة لا أساس لها من الصحة. فالمقاومة العربية لم تكن ضد مهاجرين يبحثون عن المأوى وإنما كانت ضد مستوطنين جاءوا لاغتصاب الأرض وطرد أصحابها، تحت رعاية العالم الغربي، وبدعم من حكومة الانتداب البريطانية (ومن النازيين أنفسهم)، وفي الوقت الذي كانت الدول الغربية توصد أبوابها دون المهاجرين اليهود. ومهما فعل الصهاينة (يؤيدهم في هذا العالم الغربي دون تحفُّظ) يظل حق المقاومة حقاً إنسانياً مشروعاً بل واجباً على كل إنسان يحترم إنسانيته، ويظل رفض الإنسان للظلم تعبيراً عن نبله وعظمته، بل إنسانيته .

(١) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " مرجع سابق ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

٢- محاولة الدعاية الصهيونية التأكيد على أن بعض الساسة العرب أظهروا تعاطفاً مع النظام النازي . وهذه أكذوبة أخرى ؛ فمعظم الحكومات العربية وقفت مع الحلفاء (فالعالم العربي على أية حال كان يقع في دائرة الاستعمار الغربي).

كما أن النظرية النازية العرْقية كانت تضع العرب والمسلمين في مصاف اليهود، ولذا فأي تحالف مزعوم كان تحالفاً مؤقتاً لا يختلف عن حلف ستالين/هتلر. وهؤلاء الساسة (وبعض القطاعات الشعبية) ممن أظهروا التعاطف مع النازيين فعلوا ذلك لا كُرهاً في اليهود أو حباً في النازيين، وإنما تعبيراً عن عدائهم للاستعمار الإنجليزي والاستيطان الصهيوني .

ولكن كل هذه المحاولات الدعائية الإعلامية الغربية الصهيونية لا تغيِّر شيئاً من الحقائق التاريخية أو الجغرافية أو الأخلاقية، الدينية والإنسانية. فالإبادة النازية لا تُشـــكِّل جزءاً من التاريخ العربي أو تواريخ المسلمين، ولم يلوث العرب والمسلمون أيديهم بدماء ضحايا النازية من يهود أو سلاف أو غجر. وهذه المحاولات تُبيِّن في نهاية الأمر اتساق الغرب مع نفسه، الذي يُكفر عن جريمة إبادية ارتكبها في ألمانيا بأخرى لا تقل عنها بشاعة في وطننا العربي .

ومن المعروف أنه حينما حدث احتكاك مباشر بين المسلمين والعرب من جهة والإبادة النازية من جهة أخرى فإن موقف المسلمين والعرب كان يتسم بالإنسانية . فعلى سبيل المثال قامت الأقلية المسلمة في بلغاريا بدور كبير في حماية أعضاء الجماعات اليهودية من الإبادة، كما أن الملك محمد الخامس عاهل المغرب رفض تسليم رعاياه اليهود إلى حكومة فيشي الفرنسية الممالئة للنازي .

إن الضحايا الذين كانوا يُقادون لأفران الغاز كانوا يسمونهم "ميزلمان" Muselmann أي « مسلم » بالألمانية، وقد ورد ما يلي في مدخل مستقل في الموسوعة اليهودية (Enyclopedia Judaica جزء ١٢ ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨) عنوانه "مسلم " :

"ميزلمان" أي مسلم بالألمانية، هي إحدى المفردات الدارجة في معسكرات (الاعتقال) والتي كانت تُستخدَم للإشارة للمساجين الذين كانوا على حافة الموت، أي الذين بدأت تظهر عليهم الأعراض النهائية للجوع والمرض وعدم الاكتراث العقلي والوهن الجسدي. وكان هذا المصطلح يُستخدَم أساساً في أوشفيتس ولكنه كان يُستخدَم في المعسكرات الأخرى» .

هذه هي المعلومة، فكأن العقل الغربي حينما كان يدمر ضحاياه كان يرى فيهم الآخر، والآخر منذ حروب الفرنجة هو المسلم. ومن المعروف في تاريخ العصور الوسطى أن العقل الغربي كان يربط بين المسلمين واليهود، وهناك لوحات لتعذيب المسيح تصور الرسول ﷺ وهو يقوم بضرب المسيح بالسياط .

إن التجربة النازية هي الوريث الحقيقي لهذا الإدراك الغربي، والنازيون هم حملة عبء هذه الرؤية، وهم مُمثِّلو الحضارة الغربية في مجابهتها مع أقرب الحضارات الشرقية، أي الحضارة الإسلامية. وهم لم ينسوا قط هذا العبء حتى وهم يبيدون بعضاً من سكان أوربا. (1)

وفي النهاية لابد من ذكر عدة حقائق نختم بها الرد على أسطورة الملايين الستة

١- تحريم الأديان السماوية قتل النفس الإنسانية بغير حق .

٢- الإبادة التامة لم تتم في التاريخ إلا مرتين :

أ- إبادة سكان بعض المدن الكنعانية على يد العبرانيين .

ب- إبادة الهنود الحمر على يد الرجل الأبيض (الأمريكي) .

٣- الاعتراف بجرائم قتل قام بها النازيون في حق اليهود .

(1) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢/ ج٤ " العرب والمسلمون والإبادة النازية ليهود أوربا " .مرجع سابق .

٤- من ذاق الظلم أولى الناس بـأن يحكم بالعدل .

٥- لا تزر وازرة وزر أخرى فلا يؤخذ إنسان بذنب غيره .

أولا : تحريم الأديان السماوية قتل النفس إلا بالحق

لقد حرمت كل الأديان السماوية قتل النفس الإنسانية بغير حق .

فتحريم قتل النفس كانت الوصية السادسة من الوصايا العشر التي أوحى بها إله إسرائيل لموسى ليبلغها لبني إسرائيل .

" ... أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يهبك إياها الرب إلهك ، **لا تقتل** . لا تزن . لا تسرق .... " (الخروج : ١٩)

ولما كان يسوع جاء ليكمل ما جاء به الأنبياء قبله لا لينسخه فقد حرم القتل الذي كان محرما في شريعة موسى .

" لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء ما جئت لألغي بل لأكمل "(متى:٥)

وَقد سَأَلَ وَاحِدٌ مِنَ رُؤَسَاءِ اليهود يسوع قَائِلاً :

«أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» ١٩وَلَكِنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي الصَّالِحَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللهُ ! ٢٠أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ؛ **لاَ تَقْتُلْ**؛ لاَ تَسْرِقْ؛ لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ!» ٢١فَقَالَ: «هَذِهِ كُلُّهَا عَمِلْتُ بِهَا مُنْذُ صِغَرِي!» ٢٢فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هَذَا، قَالَ لَهُ: «يَنْقُصُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: بِعْ كُلَّ مَا عِنْدَكَ، وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ. ثُمَّ تَعَالَ اتْبَعْنِي!» (لوقا : ١٨)

بل يذهب يسوع إلى أبعد من هذا فهو يطلب من أتباعه أن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم ، وأن يُدِر خده الأيسر لمن ضربه على خده الأيمن .

" وَأَمَّا لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ، فَأَقُولُ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ؛ أَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ؛ ٢٨بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ؛ صَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. ٢٩وَمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ، فَاعْرِضْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ أَيْضاً. وَمَنِ انْتَزَعَ رِدَاءَكَ، فَلاَ تَمْنَعْ عَنْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً. ٣٠ أَيُّ مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئاً فَأَعْطِهِ؛ وَمَنِ اغْتَصَبَ مَالَكَ، فَلاَ تُطَالِبْهُ. ٣١وَبِمِثْلِ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمُ النَّاسُ عَامِلُوهُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً. " (متى : ٦)

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى فرض على بني إسرائيل أن قتل النفس الإنسانية بغير نفس أو فساد في الأرض كقتل الناس جميعا يقول تعالى :

{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } (البقرة :٣٢)

{ مِنْ أَجْلِ } قتل ابن آدم أخاه ظلما وعدوانًا .

{ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } أي : شرعنا لهم وأعلمناهم ، وخص الله تعالى بني إسرائيل بالذكر وقد تقدمتهم أمم قبلهم كان قتل النفس فيهم محرما بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء . (1)

ومن أجل وجود هذه النماذج في البشرية ، من أجل الاعتداء على المسالمين الوادعين الخيرين الطيبين ، الذين لا يريدون شراً ولا عدواناً ، ومن أجل أن الموعظة والتحذير لا يجديان في بعض الجبلات المطبوعة على الشر؛ وأن المسالمة والموادعة لا تكفان الاعتداء حين يكون الشر عميق الجذور في النفس .

من أجل ذلك جعلنا جريمة قتل النفس الواحدة كبيرة كبيرة ، تعدل جريمة قتل الناس جميعاً ؛ وجعلنا العمل على دفع القتل واستحياء نفس واحدة عملاً عظيماً يعدل إنقاذ الناس جميعاً .

(1) تفسير القرطبي ج ٦ ص ١٤٦

إن قتل نفس واحدة - في غير قصاص لقتل ، وفي غير دفع فساد في الأرض - يعدل قتل الناس جميعاً . لأن كل نفس ككل نفس؛ وحق الحياة واحد ثابت لكل نفس . فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته؛ الحق الذي تشترك فيه كل النفوس . كذلك دفع القتل عن نفس ، واستحياؤها بهذا الدفع - سواء كان بالدفاع عنها في حالة حياتها أو بالقصاص لها في حالة الاعتداء عليها لمنع وقوع القتل على نفس أخرى هو استحياء للنفوس جميعاً ، لأنه صيانة لحق الحياة الذي تشترك فيه النفوس جميعاً . (١)

والمقصود من تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل النفوس المبالغة في تعظيم أمر القتل العمد العدوان وتفخيم شأنه ، يعني كما أن قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد ، فكذلك يجب أن يكون قتل الإنسان الواحد مستعظماً مهيباً فالمقصود مشاركتهما في الاستعظام ، لا بيان مشاركتهما في مقدار الاستعظام .(٢)

وهب الله تعالى نعمة الحياة للإنسان ، وجعل حياطتها كلا وجزءا وصيانته مادة ومعنى في طليعة الأهداف التي أبرزها الدين ،وتحدث فيها الرسل مبشرين ومنذرين.

ولا عجب فإن إشقاء حيوان وإزهاق روحه ظلمًا يعده الله العدل الرحيم جريمة يدخل فيها الإنسان النار .

فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ " (متفق عليه)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى

(1) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج ٢ ص ٣٥٢
(2) فخر الدين الرازي " مفاتيح الغيب " ج٦ ص ٤١ ،

الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ " (متفق عليه)

أرأيت كيف أن راحة حيوان وحفظ حياته باب من رضوان الله تعالى ، وكيف أن إتعاب حيوان وإهدار حياته باب إلى سخطه .

فإذا كانت هذه نظرة الإسلام إلى قيمة الحياة في المخلوقات الدنيا ، فما تكون عنايته وجائزته لمن يدعم حق الحياة بين الناس ؟

وما تكون نقمته وعقوبته لمن يستهين بهذا الحق ؟

عن ابن عباس أن قتيلا قتل على عهد رسول الله ﷺ لا يدرى من قتله فقال النبي ﷺ يقتل قتيل وأنا فيكم لا يدرى من قتله لو أن أهل السماء أهل الأرض اشتركوا في قتل مؤمن لعذبهم الله إلا أن لا يشاء ذلك (رواه البيهقي و الطبراني)

والمسلم وغير المسلم سواء في حرمة الدم واستحقاق الحياة ، والاعتداء على المسالمين من أهل الكتاب هو في نُكْره وفحشه كالاعتداء على المسلمين وله سوء الجزاء في الدنيا والآخرة .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا(رواه البخاري)

" عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" (رواه النسائي وأبو داود وأحمد والبيهقي)

إن الحياة الكاملة مصونة ، والاعتداء عليها بالقتل جريمة ، وكذلك الاعتداء على جزء منها ، وتعريضه للتلف أو التشويه .

فذلك كله في نظر الإسلام عدوان أساس العقوبة فيه القصاص وإنما شرع القصاص تأمينا للسلامة بين الناس .

وهذا معنى قوله تعالى { ولكم في القصاص حياة } (1)

إن الناس في حق الحياة سواء ، فليس هناك دماء أعز من دماء ، ولا شعب أكرم من شعب . إنما التفاضل يكون بالتقوى والتقوى لا يعلمها إلا أحد من البشر فهي مما استأثر الله تعالى بعلمه .

جاء في ميثاق الأمم المتحدة ،الفصل الثاني عشر،المادة ٧٦ فقرة ج ما يلي : . التشجيع على احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء، والتشجيع على إدراك مابين شعوب العالم من تقيد بعضهم بالبعض .

الإبادة التامة لشعب تاريخيًّا

لم نعرف شعبا أبيد عن آخره إلا مرتين : ذكرت توراة اليهود أولاهما ، وهو إبادة العبرانيين بقيادة يشوع لسكان مدينة أريحا من الكنعانيين العرب .

فقد اندفع شعب إسرائيل نحو مدينة أريحا " وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. [٢١]وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ ... [٢٤]وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ ... [٢٦]وَحَلَفَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: «مَلْعُونٌ قُدَّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُومُ وَيَبْنِي هذِهِ الْمَدِينَةَ أَرِيحَا. بِبِكْرِهِ يُؤَسِّسُهَا وَبِصَغِيرِهِ يَنْصِبُ أَبْوَابَهَا» " (يشوع : ٦)

فإن صحَّت هذه الرواية يكون سكان مدينة أريحا الكنعانيين العرب هم أول الشعوب في التاريخ – فيما نعلم – ينطبق عليه لفظ الإبادة التامة تلك الإبادة التي ارتكبها أجداد اليهود – بحسب زعمهم – في حق بعض أجداد العرب .

---

(1) محمد الغزالي " حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة " دار الكتب الإسلامية ص ٥٠-٥٢

وثاني الإبادات التامة فكان للهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا على يد الرجل الأبيض (المحتل لأمريكا) .

وقد قام الرجل الأبيض (المحتل لأمريكا) بإنهاء حضارة الهنود الحمر وإنسانها ، باعتبارها حضارة بدائية متخلفة ، وباعتبار إنسانها بدائيًا متخلفاً ، وهى نظريات اقتربت من فكرة " القتل الرحيم " للمرضى الميئوس من شفائهم ،كان هذا المفهوم هو الأساس الذي اعتمد لإبادة أكثر من ١٨,٥ مليون من الهنود – أصحاب البلاد الأصليين – الذين تم قتلهم أو تعذيبهم ، باعتبار أن هؤلاء بشر بدائيون لا قيمة لقتلهم وأبادتهم وإبادة حضارتهم ،في سبيل بناء الحضارة الأرقى ،كما جرى التركيز بالمقابل على جهود الرجل الأبيض بالقول بأن الولايات المتحدة دولة قامت على جهود المستوطنين البيض وكان القتل والإبادة عملا من أعمال التنمية.

" وقد نطق تيودور روزفلت في فترة لاحقة بالجملة الفظيعة التالية : " لو تركنا للهنود أراضي الصيد الخاصة بهم لوضعنا قارتنا تحت تصرف همج قذرين متوحشين؛ لذلك لم يبق أمامنا خيار غير إبادتهم "

وروزفلت للتذكير حاز على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٠٦ ! " (١)

أما غير هاتين الواقعتين فلم يشهد التاريخ – فيما نعلم – أية إبادة تامة لشعب من الشعوب ، إنما شهد التاريخ مجازر بشرية كثيرة لبعض الشعوب لم تصل لاستئصال شأفتهم .

والعجيب أن تتم الإبادة التامة في المرتين بأمر من " يهوه " إله اليهود القديم في المرة الأولى ، وعلى يد الرجل الأبيض (المحتل لأمريكا) راعي اليهود الحديث في المرة الثانية !!

(١) حمادة منتصر " صفحات مجهولة من تاريخ أمريكا " إسلام أون لاين " 2005/05/24

كتب المؤرخ الأمريكي أولبريت الذي كان مديرا للمعهد الأمريكي للبحوث الشرقية في كتابه الأساسي " من العصر الحجري إلى المسيحية والوحدانية وتطورها " وبعد أن برر الإبادات الجماعية المقدسة ليشوع في غزوه لكنعان يقول :

" إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين لأننا قد أبدنا آلاف الهنود الحمر داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى في معسكرات ضخمة للاعتقال" (1)

ويعقد منير العكش في كتابه " أمريكا والإبادة الجماعية " مقارنة بين الوقعتين فيقول : " إن تطابق الفكر الأمريكي المستعمر مع الفكر اليهودي الصهيوني الحالي " فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة " هي التطبيق العملي للفهم الانجليزي لفكرة إسرائيل التاريخية وكل ما نجده من تفاصيل الاستعمار الانجليزي لشمال أمريكا نجد جذوره في أدبيات إسرائيل وتقمص وقائعها وأبطالها وأبعادها الدينية والاجتماعية والسياسية فكانوا يسمون أنفسهم يهودا عبرانيين ويطلقون على العالم الجديد اسم إسرائيل وأرض كنعان وكانوا يقتلون الهنود الحمر وهم على قناعة بأنهم عبرانيون أعطاهم الرب تفويضا بقتل الكنعانيين إن يهودية هؤلاء المستعمرين الانجليز هي التي أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي :

١- عقيدة الاختيار الإلهي .
٢- التفوق العرقي والثقافي .
٣- الدور الخلاصي للعالم .
٤- قدرية التوسع اللانهائي .
٥- حق التضحية بالآخر .

ولذلك أباد البيض في مستعمرتهم الجديدة نحو ١٨،٥ مليون هندي أحمر دون أن تطرف لهم عين أو يعانوا من أي وخز للضمير ولم تتوقف فلسفة الإبادة الجماعية

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤٣

الأمريكية هذه التي أنهت منذ أكثر من ٤٠٠ سنة مضت وجود الهنود الحمر كشعب قائم متمتع بالسيادة على أرضه " [1].

الاعتراف بجرائم قتل قام بها النازيون ضد اليهود

لقد شهد التاريخ جرائم قتل جماعية لا تحصى وقعت في حق الشعوب الضعيفة ، ومن تلك المجازر التي يحفل بها التاريخ مجازر النازيين في حق اليهود في النصف الأول من القرن العشرين ، وبغض الطرف عن دوافع النازيين لقتل كثير من اليهود في ألمانيا ، فإنه من الثابت تاريخيا أن النازيين قد أقدموا على جرائم قتل جماعية في حق بعض اليهود الألمان ، لا مجال لإنكارها بل من الظلم عدم الاعتراف بها .

ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية التي تقوم على تفوق الجنس الآري ، وخلطه المتعمد والمنهجي بين اليهود والشيوعية التي كانت عدوه الرئيسي (وهو ما تشهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيوعيين الألمان ، ثم عناده وتصلبه ضد السجناء السلاف أثناء الحرب) وأطلق على هذا الخلط عبارة " اليهودية البلشفية " .

وتوخى منذ إنشاء حزبه " القومي – الاشتراكي " (النازي) ليس فحسب استئصال الشيوعية ، بل وطرد جميع اليهود من ألمانيا أولا ومن كل أوربا بعد أن يسيطر عليها ، وحدث هذا بطريقة بعيدة كل البعد عن الإنسانية : أولا بالتهجير ، ثم بالنفي ، وأثناء الحرب بالحبس في معسكرات الاعتقال في ألمانيا ، ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادئ الأمر ثم نحو الشرق في الأراضي المحتلة وخاصة في بولندا حيث هلك

[1]) منير العكش " أميركا والإبادات الجماعية " الناشر :رياض الريس للكتب والنشر .

السلاف واليهود والغجر بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربي ، ثم بالأوبئة الفظيعة للتيفوس التي تدل كثرة المحارق على ضخامتها . [1]

فنحن نُقِرُّ بأن معسكرات الاعتقال والسخرة والإبادة حقيقة مادية لا شك فيها، وأن أفران الغاز هي الأخرى حقيقة . ولكن حجم هذه الأفران ومدى كفاءتها وعدد ضحاياها ودلالة هذه الحقائق المادية وتفسيرها تظل كلها موضوعات قابلة للاجتهاد والفحص العلمي والوثائقي بل تتطلبها، فهي موضوعات خلافية. وهناك فيما يبدو مصلحة للبعض في أن يُضخمها أو يُقلل من أهميتها. فإذا كان الحياد الكامل مستحيلاً في مثل هذه الأمور (كما في غيرها)، فلابد، على الأقل، أن ننفصل إلى حدٍّ ما عن الظاهرة موضع الدراسة ونُعيد قراءة الوثائق المتاحة ونطالب بإتاحة كل الوثائق السرية، وخصوصاً أن الموضوع أصبح موضوعاً تاريخياً مر عليه أكثر من خمسين عاما . [2]

ونحن إذ ندين ما فعله النازيون في حق بعض اليهود الألمان ندين في الوقت نفسه كل الجرائم التي ارتكبت وترتكب في حق الشعوب العربية والإسلامية مثل : البوسنة والهرسك ، والشيشان ، وأفغانستان والعراق ، وفلسطين ولبنان .

من تعرض للظلم أولى الناس بالحكم بالعدل

إذا كان اليهود قد عاينوا الظلم على يد النازيين والصهاينة فإنه من المحتم عليهم أن يقيموا العدل ، ويعطوا الحق لأصحابه لا أن يؤيدوا الصهاينة في عدوانهم الوحشي والمستمر على الأبرياء من الشعوب العربية .

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤٠

(2) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوربا .مرجع سابق .

وكما أن اليهود الصهاينة يحرصون أشد الحرص على إثبات جريمة النازيين في حق بعض اليهود ، ويقفون بالمرصاد في وجه من يشكك في هذه الجريمة ، ويروجون لها حتى أصابوا الأوربيين – وخاصة الألمان – بعقدة الذنب ، وحصلوا من ورائها على تعويضات طائلة ، كنت أقول إذا كان الصهاينة قد فعلوا هذا من أجل بعض الضحايا اليهود فإنه كان من الواجب عليهم أن يتذكروا أنهم كانوا شركاء اللاساميين في جرائمهم ضد اليهود ، وأنه لولا هذه المذابح ما كانت هناك دولة يهودية ، وأن عليهم أن يكفوا أيديهم عن الأبرياء من الشعب الفلسطيني وأن يتعظوا بالفاشيين والنازيين حلفائهم الذين دالت دولتهم وذهبوا غير مأسوف عليهم مصحوبين باللعنات فدولة الظلم ساعة .

وإذا كانوا قد كسبوا الجولة الأولى بالعنف والإرهاب والتحالف مع الشيطان فإن أرواح الذين قُتِلُوا دون ذنب مازالت تشتكي إلى الله بأي ذنب قُتِلَت ؟ وأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب كما قال من لا ينطق عن الهوى .

" اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ؛ فإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ " (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ)

وأن الملايين من العرب والمسلمين الذين ظلمهم الصهاينة حتما سينتصرون فإن الله تعالى قد أقسم بعزته لينصرن دعوة المظلوم ولو بعد حين .

" وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِى لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ " (رواه أحمد والترمذي وابنُ ماجه) .

فالناس جميعا متساوون في الحقوق والواجبات ، كلهم ينتمون إلى أسرة إنسانية واحدة ، " كلكم لآدم ، وآدم من تراب " ولكن مع الأسف أن الصهيونية لا تعترف بهذا ، ولا تزن الناس إلا بميزان المصلحة دون اعتبار لدين أو خلق كريم ، فإذا كانت مصلحتها أن توطِّن اليهود في فلسطين وتشتت أهل فلسطين فإنها تعد المذابح

الإسرائيلية في حق العرب دفاع عن النفس ، وتعد المقاومة العربية للعدوان الصهيوني التي كفلها لها ميثاق الأمم المتحدة تطرفاً و إرهاباً !!

وإن كانت مصلحتها التحالف مع النازيين فإنها تسارع بتنفيذ المخطط النازي الرامي لتهجير اليهود النافعين لدولة إسرائيل وإبادة سواهم من الاندماجيين والفقراء والعجزة ، وإن كانت مصلحتها معاداة النازية ومقاضاتها - بعد أن ذهبت دولتهم - فإنهم لا يتورعون عن ابتزاز ألمانيا والنمسا وغيرهما بسبب جرائم النازيين ضد اليهود تلك الجرائم التي كانوا هم شركاء فيها !!

ولابد أن نقرر أن الصهيونية عندما لم تقم بعملية إبادة شاملة للفلسطينيين، فإن هذا يرجع إلى اعتبارات عملية عديدة لا علاقة لها بأية أخلاق إنسانية حميدة ، ومن بين هذه الاعتبارات :

١- تأخر التجربة الصهيونية إلى أواخر القرن التاسع عشر، وعدم إعلان الدولة الصهيونية إلا في منتصف القرن العشرين، وهو ما جعل الإبادة مسألة عسيرة بسبب وجود المنظمات الدولية والإعلام .

٢- الكثافة السكانية العربية .

٣- تماسك العرب ومقدرتهم على التنظيم والمقاومة والانتفاضة .

٤- الخصوبة العالية التي يتسم بها الفلسطينيون فمعدلات المواليد فيهم عالية جدًا .

كل هذا جعل إبادة الفلسطيني حلاً مستحيلاً ، ومع هذا لابد من الإشارة إلى عمليات الإبادة الجسدية والتي تمت في صفد ، ودير ياسين ، وكفر قاسم، وغيرها من مدن وقرى في فلسطين، حيث لم تكن الممارسة الصهيونية تهدف إلى تهجير الفلسطينيين، بقدر ما كانت تهدف إلى قتلهم وإبادتهم. وبالمثل كانت عملية صابرا

وشاتيلا ذات طابع إبادي واضح . كما أن الإبادة بمعنى التهجير والتسخير والقمع والاستغلال هي حدث يومي داخل الإطار الصهيوني .

لا تزر وازرة وزر أخرى فلا يؤخذ إنسان بذنب غيره

إن شريعة الحق والعدل تقضي بأن كل إنسان مسئول عن عمله { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } ، ولا يؤخذ إنسان بجريرة غيره .

يقول تعالى : { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (الأنعام : ١٦٤)

أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها .

وقيل: إن هذه الآية نزلت ردًا على العرب في الجاهلية من مؤاخذة الرجل بأبيه وبابنه وبجريرة حليفه. وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب. (١)

إذا كان الحق والعدل وشرائع السماء تقضي بألا يؤخذ إنسان بجريمة غيره ، فكيف يأخذ اليهودُ الصهاينةُ الفلسطينيين بذنب النازيين ، ماذا جنى الفلسطينيون حتى يتعرضوا لهذه المذابح التي لا تنقطع ؟!!

لقد عاش اليهود دهورا متطاولة بين ظهراني المسلمين فما وجدوا لديهم إلا العدل والإنصاف فهل هذا جزاؤهم على حسن معاملتهم لليهود !!

(١) تفسير القرطبي ج٧ ص ١٥٧

قال تعالى: { وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ } (إبراهيم : ٤٢ -٤٤)

***